

## تفسير ابن كثير

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه حدثني الحضرمي عن أبي السوار عن جندي بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رهطاً وبعث عليهم أبا عبيدة بن الجراح فلما ذهب ينطلق بكى صبا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبسه فبعث عليهم مكانه عبد الله بن جحش وكتب له كتاباً وأمره أن لا يقرأ الكتاب حتى يبلغ مكانه كذا وكذا وقال [ لا تكرهن أحداً على السير معك من أصحابك ] فلما قرأ الكتاب استرجع وقال : سمعاً وطاعة ولرسوله فخبرهم الخبر وقرأ عليهم الكتاب فرجع رجلان وبقي بقيتهم فلقوه ابن الحضرمي فقتلوه ولم يدرؤاً أن ذلك اليوم من رجب أو من جمادى فقال المشركون للمسلمين : قتلتكم في الشهر الحرام فأنزل الله { يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه كبر } الآية وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود { يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قتال فيه كبر } الآية وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية وكانوا سبعة نفر عليهم عبد الله بن جحش الأستدي وفيهم عمار بن ياسر وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وسعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوan السلمي حليف لبني نوفل وسهيل بن بيضاء وعامر بن فهيرة وواقد بن عبد الله اليربوعي حليف لعمر بن الخطاب وكتب لابن جحش كتاباً وأمره أن لا يقرأه حتى ينزل بطن ملل فلما نزل بطن ملل فتح الكتاب فإذا فيه أن سر حتى تنزل بطن نخلة فقال لأصحابه : من كان يريد الموت فليمضن ولسيوص فإني موص وما من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فسار فتخلف عنه سعد بن أبي وقاص وعتبة أصلاً راحلة لهما فتخلقاً يطلبانها سار ابن جحش إلى بطن نخلة فإذا هو بالحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وانفلت وقتل عمرو قتله وقاد بن عبد الله فكان أنت أولى غنية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رجعوا إلى المدينة بأسرى وما أصابوا من المال أراد أهل مكة أن يفادوا الأسرى عليه وقالوا : إن محمداً يزعم أنه يتبع طاعة الله وهو أول من استحل الشهر الحرام وقتل صاحبنا في رجب فقال المسلمين : إنما قتلناه في جمادى وقتل في أول ليلة من رجب وآخر ليلة من جمادى وغمد المسلمين سبوفهم حين دخل شهر رجب وأنزل الله يغير أهل مكة { يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قتال فيه كبير } لا يحل وما صنعتم أنت يا معاشر المشركين أكبر من القتل في الشهر الحرام حين كفرتم بما وصددتم عن محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وإخراج أهل المسجد الحرام منه حين أخرجوا محمداً صلى الله عليه وسلم وأصحابه أكبر من القتل عند الله .

وقال العوفي عن ابن عباس { يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قتال فيه كبير } وذلك

أن المشركين صدوا رسول الله عليه وسلم وردوه عن المسجد في شهر حرام قال : ففتح الله على نبيه في شهر حرام من العام المقبل فعاب المشركون على رسول الله عليه وسلم القتال في شهر حرام فقال الله { وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله } من القتال فيه وأن محمداً صلى الله عليه وسلم بعث سرية فلقو عمرو بن الحضرمي وهو مقبل من الطائف في آخر ليلة من جمادى وأول ليلة من رجب وأن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يطئون أن تلك الليلة من جمادى وكانت أول رجب ولم يشعروا فقتله رجل منهم وأخذوا ما كان معه وإن المشركين أرسلوا يعيرونها بذلك فقال الله تعالى : { يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه } إخراج أهل المسجد الحرام أكبر من الذي أصاب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والشرك أشد منه وهكذا روى أبو سعيد البغدادي عن عكرمة عن ابن عباس أنها نزلت في سرية عبد الله بن جحش وقتل عمرو بن الحضرمي وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وقال : نزل فيما كان من مصاب عمرو بن الحضرمي { يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه } إلى آخر الآية وقال عبد الملك بن هشام راوي السيرة عن زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق بن يسار المدني في كتاب السيرة له إنه قال : وبعث رسول الله عليه وسلم عبد الله بن جحش بن ربابة الأسد في رجب مقفله من بدر الأولى وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد وكتب له كتاباً وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضي كما أمره به ولا يستكره من أصحابه أحداً وكان أصحاب عبد الله بن جحش من المهاجرين ثم من بني عبد شمس بن عبد مناف أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ومن حلفائهم : عبد الله بن جحش وهو أمير القوم وعكاشه بن محسن أحد بني أسد بن خزيمة حليف لهم ومن بني نوفل بن عبد مناف عتبة بن غزوan بن جابر حليف لهم ومن بني زهرة بن كلاب سعد بن أبي وقاص ومن بني كعب عدي بن عامر بن ربيعة حليف لهم من غير ابن وائل وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عررين بن ثعلبة بن يربوع أحد بني تميم حليف لهم وخالد بن البكير أحد بني سعد بن ليث حليف لهم ومن بني الحارث بن فهر : سهيل بن بيضاء فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب فنظر فإذا فيه : إذا نظرت في كتابي في هذا فماض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف ترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم فلما نظر عبد الله بن جحش الكتاب قال : سمعاً وطاعة ثم قال لأصحابه : قد أمرني رسول الله عليه وسلم وأله وسلم أن امض إلى نخلة أرصد بها قريشاً حتى آتيه منهم بخبر وقد نهاي أن أستكره أحداً منكم فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ومن كره ذلك فليرجع فأما أنا فماض لأمر رسول الله فمضى معه أصحابه لم يتخلف عنه منهم أحد فسلك على الحجاز حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له نجران أضل سعد بن أبي

وقام وعتبة بن غزوان بعيارا لهما كانا يتعقبانه فتختلفا عليه في طلبه ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل نخلة فمررت به غير لقريش تحمل زبيبا وأدما وتجارة من تجارة قريش فيها عمرو بن الحضرمي واسم الحضرمي عبد الله بن عباد أحد الصدف وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل بن عبد الله المخزوميان والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم فأشرف لهم عكاشه بن محسن وكان قد حلق رأسه فلما رأوه أمنوا وقالوا : عمار لا بأس عليكم منهم وتشاور القوم فيهم وذلك في آخر يوم من رجب فقال القوم : والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم ولئن قتلتموهם لقتلنهم في الشهر الحرام فتردد القوم وهاجا الإقدام عليهم ثم شجعوا أنفسهم عليهم وأجمعوا قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان وأفلت القوم نوفل بن عبد الله فأعجزهم وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعيير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله المدينة قال ابن إسحاق : وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش أن عبد الله قال لأصحابه : إن رسول الله مما غنمنا الخمس وذلك قبل أن يفرض الله الخمس من المغانم فعزل رسول الله خمس العيير وقسم سائرها بين أصحابه قال ابن إسحاق : فلما قدموا على رسول الله قال : [ ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام ] فوق العيير والأسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئا فلما قال ذلك رسول الله أُسقط في أيدي القوم وظنوا أنهم قد هلكوا وعنفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا وقالت قريش : قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الأموال وأسرموا فيه الرجال فقال من يرد عليه من المسلمين من كان بمكة إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان وقالت اليهود : تفألوا بذلك على رسول الله عمرو بن الحضرمي قتلته وقاد بن عبد الله عمرو عمرت الحرب والحضرمي حضرت الحرب وقاد بن عبد الله وقدرت الحرب فجعل الله عليهم ذلك لا لهم فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله على رسول الله : { يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل } أي إن كنتم قاتلتم في الشهر الحرام فقد صدوك عن سبيل الله مع الكفر به وعن المسجد الحرام وإخراجكم منه وأنتم أهله { أكبر عند الله } من قتل من قاتلتم منهم { والفتنة أكبر من القتل } أي قد كانوا يفتتون المسلمين في دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه فذلك أكبر عند الله من القتل { ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا } أي ثم هم مقيمون على أخته ذلك وأعظمهم غير تائبين ولا نازعين قال ابن إسحاق : فلما نزل القرآن بهذا من الأمر وفرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشدة قبض رسول الله والله وسلم العيير والأسيرين وبعثت إليه قريش في فداء عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان فقال رسول الله : [ لا نفديكم وهما حتى يقدم صاحبنا ] يعني

سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوan فـإـن نخـاـكم عـلـيـهـمـا فـإـن تـقـتـلـوـهـمـا فـقـدـمـ سـعـدـ وـعـتـبـةـ فـفـدـاهـمـ رـسـوـلـ Aـ مـنـهـمـ فـأـمـاـ الـحـكـمـ بـنـ كـيـسـانـ فـأـسـلـمـ وـحـسـنـ إـسـلـامـهـ وـأـقـامـ عـنـ رسولـ Aـ حـتـىـ قـتـلـ يـوـمـ بـئـرـ مـعـونـةـ شـهـيدـاـ وـأـمـاـ عـثـمـاـ بـنـ عـبـدـ Aـ فـلـحـقـ بـمـكـةـ فـمـاتـ بـهـ كـافـرـاـ قالـ اـبـنـ إـسـحـاقـ : فـلـمـاـ تـجـلـىـ عـنـ عـبـدـ Aـ بـنـ جـحـشـ وـأـصـاحـاـهـ مـاـ كـانـ حـيـنـ نـزـلـ الـقـرـآنـ طـمـعـوـاـ فـيـ الأـجـرـ فـقـالـوـاـ : يـاـ رـسـوـلـ Aـ أـنـطـمـعـ أـنـ تـكـوـنـ لـنـاـ غـزـوـةـ نـعـطـىـ فـيـهـ أـجـرـ الـمـجـاهـدـيـنـ ؟ـ فـأـنـزـلـ Aـ Dـ : {ـ إـنـ الـذـيـنـ آـمـنـواـ وـالـذـيـنـ هـاجـرـواـ وـجـاهـدـواـ فـيـ سـبـيلـ Aـ أـولـئـكـ يـرـجـونـ رـحـمـةـ Aـ وـAـ غـفـورـ رـحـيمـ }ـ فـوـضـعـ Aـ مـنـ ذـلـكـ عـلـىـ أـعـظـمـ الرـجـاءـ قـالـ اـبـنـ إـسـحـاقـ وـالـحـدـيـثـ فـيـ هـذـاـ عـنـ الـزـهـرـيـ وـيـزـيـدـ بـنـ روـمـانـ عـنـ عـرـوـةـ وـقـدـ روـيـ يـوـنـسـ بـنـ بـكـيرـ عـنـ مـحـمـدـ بـنـ إـسـحـاقـ عـنـ يـزـيـدـ بـنـ روـمـانـ عـنـ عـرـوـةـ بـنـ الزـبـيرـ قـرـيبـاـ مـنـ هـذـاـ السـيـاقـ وـرـوـيـ مـوـسـىـ بـنـ عـقـبـةـ عـنـ الـزـهـرـيـ نـفـسـهـ نـحـوـ ذـلـكـ وـرـوـيـ شـعـيـبـ بـنـ أـبـيـ حـمـزةـ عـنـ الـزـهـرـيـ عـنـ عـرـوـةـ بـنـ الزـبـيرـ نـحـوـاـ مـنـ هـذـاـ أـيـضاـ وـفـيـهـ فـكـانـ اـبـنـ الحـضـرـمـيـ أـوـلـ قـتـيلـ قـتـلـ بـيـنـ الـمـسـلـمـيـنـ وـالـمـشـرـكـيـنـ فـرـكـ وـفـدـ مـنـ كـفـارـ قـرـيـشـ حـتـىـ قـدـمـوـاـ عـلـىـ رـسـوـلـ Aـ بـالـمـدـيـنـةـ فـقـالـوـاـ : أـيـحـلـ الـقـتـالـ فـيـ الشـهـرـ الـحـرـامـ ؟ـ فـأـنـزـلـ Aـ {ـ يـسـأـلـونـكـ عـنـ الشـهـرـ الـحـرـامـ }ـ الـاـيـةـ وـقـدـ اـسـتـقـصـيـ ذـلـكـ الـحـافـظـ أـبـوـ بـكـرـ الـبـيـهـقـيـ فـيـ كـتـابـ دـلـائـلـ النـبـوـةـ ثـمـ قـالـ اـبـنـ هـشـامـ عـنـ زـيـادـ عـنـ اـبـنـ إـسـحـاقـ : وـقـدـ ذـكـرـ عـنـ بـعـضـ آـلـ عـبـدـ Aـ أـنـ عـبـدـ Aـ قـسـمـ الـفـيـءـ بـيـنـ أـهـلـهـ فـجـعـلـ أـرـبـعـةـ أـخـمـاسـهـ لـمـنـ أـفـاءـهـ وـخـمـسـاـ عـلـىـ Aـ وـرـوـلـهـ فـوـقـعـ عـلـىـ مـاـ كـانـ عـبـدـ Aـ بـنـ جـحـشـ صـنـعـ فـيـ تـلـكـ الـعـيـرـ قـالـ اـبـنـ هـشـامـ : وـهـيـ أـوـلـ غـنـيـمةـ غـنـمـهـاـ الـمـسـلـمـوـنـ وـعـمـرـوـ بـنـ الحـضـرـمـيـ أـوـلـ مـنـ قـتـلـ الـمـسـلـمـوـنـ وـعـثـمـاـ بـنـ عـبـدـ Aـ وـالـحـكـمـ بـنـ كـيـسـانـ أـوـلـ مـنـ أـسـرـ الـمـسـلـمـوـنـ قـالـ اـبـنـ إـسـحـاقـ : فـقـالـ أـبـوـ بـكـرـ الـصـدـيقـ Bـ فـيـ غـزـوـةـ عـبـدـ Aـ بـنـ جـحـشـ وـيـقـالـ : بـلـ عـبـدـ Aـ بـنـ جـحـشـ قـالـهـاـ حـيـنـ قـالـتـ قـرـيـشـ : قـدـ أـحـلـ مـحـمـدـ وـأـصـاحـاـهـ الشـهـرـ الـحـرـامـ فـسـفـكـوـاـ فـيـهـ الدـمـ وـأـخـذـوـاـ فـيـهـ الـمـالـ وـأـسـرـوـاـ فـيـهـ الرـجـالـ قـالـ اـبـنـ هـشـامـ : هـيـ لـعـبـدـ Aـ بـنـ جـحـشـ .

( تـعـدـوـنـ قـتـلـاـ فـيـ الـحـرـامـ عـظـيـمـةـ وـأـعـظـمـ مـنـهـ لـوـ يـرـىـ الرـشـدـ رـاشـدـ )ـ .

( صـدـودـكـمـ عـمـاـ يـقـولـ مـحـمـدـ وـكـفـرـ بـهـ وـAـ رـاءـ وـشـاـهـدـ )ـ .

( وـإـخـرـاجـكـمـ مـنـ مـسـجـدـ Aـ أـهـلـهـ لـئـلاـ يـرـىـ Aـ فـيـ الـبـيـتـ سـاجـدـ )ـ .

( إـنـاـ وـإـنـ عـيـرـتـمـوـنـاـ بـقـتـلـهـ وـأـرـجـفـ بـاـلـإـسـلـامـ بـاعـ وـحـاسـدـ )ـ .

( سـقـيـنـاـ مـنـ اـبـنـ الحـضـرـمـيـ رـمـاـنـاـ بـنـ خـلـةـ لـمـاـ أـوـقـدـ الـحـرـبـ وـاـقـدـ )ـ .

( دـمـاـ وـابـنـ عـبـدـ Aـ عـثـمـاـ بـيـنـنـاـ يـنـازـعـهـ غـلـ مـنـ الـقـيـدـ عـائـدـ )ـ .